الإصدار الأول
المجلد (1) العدد (1)
25 أبريل 2025
المجلة السعودية للدراسات التربوية والإنسانية
المجلة السعودية للدراسات التربوية والإنسانية

استراتيجية الزمن والمكان في السيرة الذاتية "البئر الأولى" لجبرا إبراهيم جبرا

عبد الصمد بودلاح
جامعة القاضي عياض كلية اللغة العربية - مراكش - المغرب

الملخص
تشكل دراسة الزمن في الأعمال السردية مغامرة تتطلب من الباحث الكثير من التأني والتخطيط، فالزمن في الأعمال السردية لا يشبه الزمن في وضعه العادي المعروف. لقد هيكلت الأعمال السردية زمنها الخاص بتأكيد من النقاد والدارسين، فالزمن السردي يخضع للعديد من التقلبات والانتقالات والوقفات والقفزات التي تجعله مختلفا لا محالة عن الزمن الطبيعي في السيرة الذاتية. لذا لا نسعى في هذا البحث إلى عقد نوع من المقارنة بين الزمن في الأعمال السردية مثل الرواية ونظيره-الكتابة عن الذات - إنما نسعى إلى مساءلة الزمن السردي عبر إبراز التقنيات الزمنية التي يوظفها غالبا مبدعو السرد، مستأنسين بما جاء من تنظير في هذا الصدد منذ الشكلانيين الروس.
وبما أنه يتعذر الإحاطة بكل الأعمال السردية، فقد كان لابد من اختيار متن معين يصلح لإبراز التقنيات الزمكانية التي، وقد وقع الاختيار على سيرة "البئر الأولى" لصاحبها جبرا إبراهيم جبرا؛ باعتبارها نمطا من أنماط الكتابة عن الذات، حيث نهدف منها إلى تحديد منزلتها واختلافها على جنس الرواية، ذلك أنها استمدت أدواتها وآلياتها من الرواية في بناء الأحداث والشخصيات وفضاء الزمان والمكان. ويتكون هيكل هذه الدراسة في مبناه العام من ثلاثة محاور أساسية سنخصص المحور الأول: لرصد حقيقة السيرة الذاتية في "البئر الأولى" لجبرا إبراهيم جبرا، والمحور الثاني: معرفة دور التقنيات الزمنية في سيرة البئر الأولى، والمحور الأخير: دلالة الزمكان في البئر الأولى.
الكلمات المفاتحية: السيرة الذاتية، المفارقة الزمانية، المفارقة السردية، السرد المشهدي.

Abstract:
The study of time in narrative works is a venture that demands from the researcher a great deal of deliberation and foresight, for time in its narrative form does not manifest as it does in its ordinary, familiar state. Narrative works have forged their own unique temporality one that has captured the attention of critics and scholars alike. Narrative time operates within a framework of techniques, events, and intentional gaps, rendering it distinct from natural time or, if one may say, autobiographical time. There exists a striking variance in how time is treated across narrative genres, such as the novel, and in the shards of autobiographical writing.
Narrative time endeavors to reveal itself through the temporal techniques employed by storytellers, often drawing upon theoretical foundations laid by the Russian formalists and others. And since it is impractical to encompass every narrative work, a particular text must be selected to illuminate the possible techniques in play. The choice has fallen upon The First Well by Jabra Ibrahim Jabra, a work that stands as a form of autobiographical writing. It offers an opportunity to examine its literary stature and the ways in which it

diverges from the novelistic genre, while simultaneously borrowing narrative tools and mechanisms—particularly in its construction of events, characters, and the spatiotemporal fabric that ultimately shapes the temporal architecture of the text.
Keywords: autobiographie -annachroneis narratives -la porteé de l'anachroné -récit scénique.

مقدمة:

لقد تطورت السيرة الذاتية من حيث أساليبها وأشكالها، وحققت في تاريخها القصير أشياء مهمة، وهي مرشحة، لأن تتطور أكثر إذا تطور الوعي بها، وانتقلت لتصبح إبداعا فنيا يتجاوز الأدب الرفيع إلى الأدب العام الذي تتعامل معه شرائح المجتمع في الحياة اليومية. فهذه السيرة الذاتية تجعل الإنسان يتطهر من الألم والمعاناة التي عاشها سواء في الطفولة أو في فترة من فترات حياته؛ بسبب حالته الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية. وكل هذا تبلور في سيرة جبرا إبراهيم جبرا، وحكي عنها في "البئر الأولى".

تتشكل صورة الزمان في هويته السردية، لكونه مطلعا على التراكمات السيرذاتية العالمية بما فيها الإسهام العربي رغم شحه، وانشغله باسترجاع تجاربه في الحياة عن طريق التسلسل الزماني والمكاني، وإثبات وجوده ونقل صرخته الداخلية إلى القارئ ليخفف عنه العبء الحياة ومشاركته في أحزانه وآلمه وأوجاعه التي عاشها، في طفولته. من هذا المنطلق، يمكن طرح إشكالية غاية في الأهمية كالآتي: كيف يتم تحديد تقنيات الزمان، والزمكان في السيرة الذاتية لجبرا إبراهيم جبرا؟. يأتي هذا الإشكال ليطور معالم السيرة الذاتية ويفتح قضايا الأبعاد الكرونولوجية في "البئر الأولى"، التي سنتوقف من خلاله على رصد تمثلات الزمن والزمكان في السيرة الذاتية، ومناقشة دلالته وتحديد معانيها.

بناء على ما سبق، يمكن الخروج بجملة من الأسئلة التي تؤطر اشتغالنا على عمل جبرا إبراهيم جبرا. فما حقيقة السيرة الذاتية لجبرا إبراهيم جبرا؟ وأين تتجلى تمثلات الزمان (استباقات واسترجاعات وحذف وخلاصة وغيرها)؟ وكيف تمت صياغة الزمكان ضمن البئر الأولى ؟.

1- حقيقة السيرة الذاتية في "البئر الأولى" لجبرا إبراهيم جبرا

يعد جبر إبراهيم جبرا من بين المبدعين القلائل الذين زاوجوا بين الحقيقة والواقع دون التشبث بتلك القيود التي أحاطت بالكتابات عن الذات، حيث يكفي الاطلاع على سيرته الذاتية "البئر الأولى" التي أدرج فها جزاء من حياته الخاصة بكل حذافيرها، لذا سنحتفي بهذه التجربة التي تتوفر على تراكم إبداعي وفني، لأن أقل ما يقال عنه مؤلف ورسام، وناقد تشكيلي؛ لأنه يشكل برمته إعادة لتمثيل واسترجاع من نوع خاص لحياة جبرا إبراهيم جبرا أي ذاته.

وهذا ما جعل من سيرة جبرا إبراهيم جبرا تعرف تسلسلا متينا في تعاقب الأحداث بطريقة كرونولوجية تشد القارئ أكثر، وتجعله وليد المنطقة التي حددها الكاتب، هذا الأمر يرجع بالأساس لانتقائه قصصا بقيت تفرض نفسها على ذاكرته' وقد صاحب هذا الكم الإبداعي، نظرة نقدية ووعي شامل باستراتيجيات تسريد الذات، حيث يجعل من الحقيقة والتخفي نوعا من الحرية للكشف والبوح، ونقد الذات والواقع والآخر، فهو لا يجد حرجا من وضع ذاته في وضعيات حقيقة في أغلب أعماله حيث انتج نحو 70 من الروايات والكتب المؤلفة والمواد المترجمة، وقد ترجم عمله إلى أكثر من اثنتي عشرة لغة. وهذا ما أعطى للذات مساحة كبيرة فيها.

وبما أن السيرة الذاتية صناعة أدبية خاصة لا تخضع لقواعد ولا لقيود ثابتة، يستعيد فيها الكاتب حياته الماضية بأحداثها ووقائعها وتجاربها، كما جرت في الواقع المرجعي"، فإننا يجب أن نحدد لها تعريفا دقيقا للحد بينها وبين أشكال سردية أخرى- الاعترافات* واليوميات الخاصة*، والأدب الحميمي والأدب الشخصي محكي الحياة* والرواية السيرذاتية* والسيرة الذاتية التخييلية* والحكي الذاتي* والرواية الشخصية*" والرواية* - فالسيرة الذاتية* باعتبارها موضوعا للتأمل والإدراك عرفها لوجون بأنها " حكي استعادي نثري يقوم به شخص وقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة". لذا؛ فإن "البئر الأولى" لجبرا إبراهيم جبرا سيرة ذاتية، لا تختلف عن باقي السير الذاتية في قول الحقيقة، وما يثير الانتباه؛ أنه راهن بالدرجة الأولى على الميثاق السير ذاتي* الذي يشغل نسبة هامة في النص والميثاق المرجعي* Le Pacte Référentiel للبيان أن ما يتلفظ به حقيقي، وعاشه فعلا، بالإضافة إلى أنه كان واع بمفارقاته سعيا إلى إعطاء حياته المسترجعة معنى، هذا ما جعله يهيئ المتلقي اعتبارا من الصفحة الثانية ليعلنه أنه سيسرد قصة حياته. واختار عبارة" فصول من السيرة الذاتية" في مستهلها يقول

جبرا إبراهيم جبرا: "أردت في البدء أن أكتب سيرة ذاتية كاملة، لا سيما بعد أن طالبت أدباء جيلي أكثر من مرة بكتابة مذكراته، وتسجيل تجربة التغيير، النمو، والصراع التي تجعل لحياتهم، وحياة كل منا، بل للحياة في عصرنا كله، مذاقها وبعض معناها"، ذلك لوعيه بصعوبة الإلمام والإحاطة بتاريخ حياته الشخصية، وهو ما جعله يركز على مرحلة معينة فقط، وهي الطفولة" ليقول لنا والبئر في الحياة إنما هي تلك البئر الأولية التي لم يكن العيش بدونها ممكنا. فيها تتجمع التجارب، كما تتجمع المياه، لتكون الملاذ أيام العطش. وحياتنا ما هي إلا سلسلة من الآبار. نحفر واحدة جديدة في كل مرحلة، نُسرّب إليها المياه المتجمعة من غيث السماء وهمي التجارب، لنعود إليها كلما استبد بنا الظمأ، وضرب الجفاف أرضنا"، ليخلص إلى أن "البئر الأولى" هي بئر الطفولة.

فما تذكر من ذكريات متفرقة ومتناثرة عنها أضحى منسجما وذا معنى في النص. يقول: أدركت أنني إذا أردت الدقة والتفصيل، يجب علي أن أعود إلى عدد ضخم من المدونات، وبخاصة الرسائل التي كتبتها، وتلك التي تسلمتها، في سني حياتي" ، ومن ثم تتوطد المفارقة الزمنية بين القصة (ما عاشه الكاتب فعلا، وبطريقة متسلسلة ومندفعة إلى الأمام (الزمن الطبيعي) وبين الخطاب (ما يسرده الكاتب عن نفسه بطريقة يتداخل فيها الاسترجاع والاستشراف".

يروم صاحب المشروع السير ذاتي جبرا إبراهيم جبرا إلى القول" أنا لا أكتب هنا تاريخا لتلك الفترة. ثمة من هم أعلم، وأجدر، وأبرز مني في سلسلة ووصف أحداث العشرينات وأوائل الثلاثينات في فلسطين. ولا أنا أكتب هنا تاريخا لأسرتي، لأن ذلك شأن أخر، ولا أزعم أن لدي القدرة عليه. ولا أنا أكتب تحليلا اجتماعيا لبلدة فلسطينية كانت يومئذ صغيرة، ولا يتعدى سكانها خمسة آلف نسمة...".

لعل جبر يتحايل على استرجاع الماضي المتلاشي عبر الزمن، حيث وجد صعوبة مما حتم عليه العودة إلى تقنيات الرواية من أجل الحذف والتوليف والتركيب وإضفاء المشروعية على عمله، وهذا ما سنوضحه عن طريق تناولنا لتقنيات الزمان ضمن سيرته الذاتية خصوصا في استرجاع طفولته المفقودة.

2- التقنيات الزمنية في سيرة "البئر الأولى"

إن الدراسات السردية قد ميزت بين زمنين، فيما يتعلق بتقنيات الزمن؛ الأول هو زمن القصة الذي يخضع للتتابع المنطقي، والثاني زمن السرد الذي لا يخضع للتتابع السابق. فليس " من الضروري ـ من وجهة نظر البنائية أن يتطابق تتابع الأحداث في رواية ما، أو في قصة، مع الترتيب الطبيعي لأحداثها ـ كما يفترض أنها جرت بالفعل، فحتى بالنسبة للروايات التي تحترم هذا الترتيب، فإن الوقائع التي تحدث في زمن واحد لابد أن ترتب في البناء الروائي تتابعيا، لأن طبيعة الكتابة تفرض ذلك، ما دام الروائي لا يستطيع أبدا أن يروي عددا من الوقائع في آن واحد".

هكذا، يطرح عدم التطابق زمن القصة وزمن السرد مفارقات سردية annachroneis narratives تكون استرجاعية أو استباقية أيضا. مفارقات متعلقة بوتيرة سرد الأحداث أو الإيقاع الزمني من حيث السرعة أو البطء. " ففي حالة التسريع مثلا يكون الخطاب اختصارا لكثافة الأحداث واختزالا لموضوعها كما في تقنيتي الخلاصة والحذف...بينما في حالة الإبطاء يجري تعليق زمن القصة مؤقتا لتمديد الخطاب في المكان عبر استعمال المشهد والوقفة الوصفية" وسنعمل على جرد تمفصلات هذه التقنيات في سيرة "البئر الأولى" التي انخرط فيها جبرا إبراهيم جبرا ولم تكتسب قيمتها ووجودها إلا بفضل التوسط السردي، الذي "لا يعيد تمثيل الواقع فحسب، بل يحتفظ بأثره، ويضمن له الاستمرار على الدوام (الديمومة الزمنية)".

أ- المفارقات السردية في "البئر الأولى"

يرسم الكاتب لعمله مسارا يحدد له بداية ونهاية، هذا المسار لا يخضع لتسلسل زمني خطي لا يعرف الانقطاع، فهو تتخلله استباقات واسترجاعات حدث قبل وقوعه. الاسترجاع: "يروي للقارئ فيما بعد، ما قد وقع من قبل". **الاستباق:** "عندما يعلن السرد مسبقا عما سيحدث قبل حدوثه".

تشكل مفارقات سردية تغني العمل وتزيد من مفهوميته ووضوحه ومنطقيته. لاعتبار السيرة الذاتية مقلقة ومحرجة، فهي تقلق فكريا وجماليا ووجدانيا"هذا الأمر لا تخلو منه سيرة "البئر الأولى".

■ **السرد الاسترجاعي:**

تشكل سيرة "البئر الأولى" شكلا استرجاعيا محضا، فالكاتب يسترجع طفولته اعتمادا على نوع من الذاكرة. لكن يبقى السؤال: هل السيرة تحوي الاسترجاع بمعناه المعروف في الرواية؟.

إن قارئ السيرة الذاتية يفاجئ بنوع من الغموض الذي يلف زمن القصة ونظيرها؛ أي زمن السرد. فالأحداث متداخلة ولا تسير وفق تسلسل خطي، إنما تخضع لانقطاعات تمليها الأحداث المستذكرة. لذلك يصعب تحديد زمن القصة، لكن ليس من المستحيل الوقوف عند الاسترجاعات السردية، خاصة ما هو متعلق بماضي الشخصية. نأخذ عينات للتدليل:
الفصل الثانية عشر: "وتذكرت ما كان أبي رواه أكثر من مرة عن الأيام المعدودات التي قضاها في مدرسة في طفولته. تعلم في الكتاب الألف باء كلها، كان يقول: ولكن كان عليه، بعد أسبوعين أو ثلاثة، أن يخرج معه أغنام أبيه ليرعاها، وكان عليه أن يعين أباه في حراثة الحقول فيسوق ثورين ضخمين، تحت النير، جيئة وذهابا على ثلاثة أثلام مستقيمة، من طلوع الشمس حتى غروبها. وما تعمه بسرعة نسيه بسرعة"
يرجع بنا السارد في هذا المقطع إلى ماضي الأب ويبرز السبب الذي جعله يغادر حجرات الدراسة. والواضح هنا أنه لم يحدد المدة التي ترك فيها المدرسة، كما أن سعة الاستذكار ليست بالكبيرة، بحيث لا تغطي سوى أسطر قليلة من الفصل الثاني عشر.
الفصل الخامسة عشر: " انهمكت أمي في تهيئة العشاء، وأنا أقلب دفاتري، عندما رأيتها تعود وفي يديها ركوة القهوة، وفنجان، وتقعد قربي على الأرض، وأبي متكئ على وسادته. صبت القهوة لنفسها (وكان أبي قد منع من شربها)، وقالت وقد أخذت رشفة من فنجانها، وكأنها حملت فجأة على سحابة نأت بها عنا إلى حيث لا أعلم: " أيام زمان يتذكر أبوك زمان...وحياتك، ما شفنا منها إلا الويل." ....اجتاحتها موجة الذكريات، وأبي يسعفها...كان مراد طفلا في شهره السابع أو الثامن عندما قتل أبوه داود. زوج أمي الأول..."، لقد ابتعدت بنا هذه اللمحة الاستذكارية عن حاضر القصة نحو ماضيها، ويبتغي السارد من هذا التوظيف تعريفنا بماضي الشخصيات، بالتحديد شخصية الأم والأب. لقد أدى الاسترجاع هنا وظيفة ملء الفراغات والبياضات التي خلفها السرد في أجزاء السيرة، بحيث لم يقف السارد لتعريفنا بالشخصيات وماضيها قبل هذا المقطع.
لمزيد من التحليل لابد من الوقوف عند مدى المفارقة la porteé de l'anachronée بين حاضر السرد وماضيه في المقطع السابق. يتضح أن المدة التي تفصل الزمنين طويلة نسبيا، فالأحداث تعود إلى العام 1909 فيما تدور أحداث السيرة في عشرينيات وثلاثينيات القرن نفسه، ما يشكل عشرين سنة من الفرق تقريبا.
استصعب مهمة استرجاع حياته كلها، لذا اقتصر على فترة محدودة من طفولته، وهي التي تغطي سبعا أو ثماني سنوات، وإن امتدت بشكل خاطف وسريع إلى سن التاسعة عشر عندما أدرج اسمه عداد الطلبة المرشحين لمتابعة دراساتهم العليا بإنجلترا".

■ **السرد الاستباقي:**

تحضر الاستباقات في سيرة "البئر الأولى" على شكل شذرات في مختلف الفصول، ووظفت هذه الاستباقات من أجل تبيان مصير الشخصيات من جهة، كما أنها تخبر عن الأحداث المستقبلية من جهة أخرى. نأخذ عينات للتدليل:
الفصل الخامس: "وجاء وقت كلفني فيه أنا أيضا بتعليم مجموعة منهم القراءة ـ كنت عندها في الثامنة من عمري، وكان ذلك أول عهدي بالتدريس، مما جعلني أحلم لسنين عديدة بعد ذلك بأن أكون معلما، كأفضل ما يمكن أن أكون في الحياة". يؤدي هذا المقطع وظيفة إخبارية لما سيحدث مستقبلا في حياة جبرا.
الفصل الثامن: "لسنوات بعد ذلك، كلما جاء عيد الميلاد، كنت أتذكر البوتين الذي لم ألبسه، ثم ما ألبث أن أنساه في غمرة أفراح العيد ـ أو في غمرة الأشجان التي كان العيد في بعض السنين يجيء بها، قاسيا، دون رحمة."، يؤدي هذا المقطع أيضا وظيفة إخبارية بتأثير سحب البوتين من البطل، كما أنه يبرز الانعكاس النفسي لهذا الحادث.
الفصل الثامن عشر: " بعد حوالي نصف ساعة كنا في حينا الجديد ـ جوزة العناب، التي كانت على منخفض من الطريق العام، قبيل بلوغ باب الخليل، ويشمخ فوقها، وفوق الطريق، سور المدينة الغربي، حيث قلعة النبي داود، ومئذنة جامع القلعة، وكاتاهما من معالم القدس الشهيرة. (ولسوف أرسمهما بالألوان المائية في لوحة من أجمل ما رسمت بعد ذلك ببضع سنوات) "، نجد في هذا المقطع استباقا من السارد يحدثنا فيه عن تجربته مع الرسم بعد سنوات من الانتقال إلى القدس مع الأسرة، ويؤدي هذا الاستباق وظيفة إخبارية.
كما قد أشار في نفس الفصل إلى المسير في قوله: " وكان زميلي في تلك العصاري الجميلة في رحاب تلك القبة التي عشقت بناءها من أول نظرة، شريف الخضرا، الذي كان مثلي مولعا بالرسم، والذي تخصص فيما بعد في الصناعات الزخرفية في أحد معاهد القاهرة الفنية"، يخبر هذا جبرا عن المصير المستقبلي لشخصية شريف الخضرا، الذي كان هو الآخر مولعا بالرسم، ويؤدي وظيفة تحفيزية ترمي الوعظ بالتمسك بالأحلام وعدم تركها.

ب- ـ الإيقاع الزمني في "البئر الأولى":
لا يسير الزمن في **"البئر الأولى"** بشكل خطي فهو تارة يتعرض للتسريع، وتارة أخرى للتعطيل بحسب إملاءات السرد.
مسار التسريع: يشمل تسريع السرد على تقنيتين هما: الخلاصة sommaire و الحذف l'ellipse.
ـ الخلاصةsommaire: يلجأ السارد في غير موضع لتقنية الخلاصة بغية تسريع وتيرة السرد، وكذا لتلخيص أحداث ليست لها صلة مباشرة بموضوع السيرة (الطفولة). ونجد مظاهر ذلك في عديد الفصول:
الفصل الثامنة عشر : "كانت نهايات 1931، وبدايات العام التالي، بائسة لنا جميعا. أخي مراد، مؤكدا استقلاله، تزوج في أوائل السنة من امرأة اختارها بنفسه دون حماس من العائلة، واستأجر غرفة صغيرة له ولزوجته في الطابق الأعلى من بناية قديمة عند مدخل سوق البلدية. وبعد تسعة أشهر رزق بطفل لم يعش أكثر من أربعة أشهر أو خمسة، وألقى موته أولى ظلال الفاجعة على حياته، وحياة الأسرة.
ولم يكن يوسف سعيدا بعمله الشاق في القدس. ويوم جاء ليحتفل معنا بعيد الميلاد، وقد أحضر معه جدتي...
وأدركنا، مع هطول الأمطار، واشتداد البرد، أن حياتنا دون دخل يذكر، وأبي على مرضه، غدت أمرا صعبا. فبعنا الخراف، وبعنا الدجاج والبط، وبعنا الخنازير."
ومن المعلوم، أنه في هذا المقطع يقدم السارد خلاصة عن أحداث سنة كاملة مرت على العائلة وهو حدث تاريخي، اختصر فيها تقلبات عام 1931القاسية على العائلة زواج مراد دون استشارة من العائلة، بالإضافة إلى وفاة طفله الرضيع بعد ذلك. أيضا، الخصام الذي نشب بين يوسف والأم في ليلة عيد الميلاد، دون نسيان المشاكل المادية التي تخبطت فيها العائلة اضطرتها لبيع كل شيء.
الفصل الواحد والعشرين: من " وهكذا دخلت سني الثالثة عشرة..." إلى "...مع صراخ داخلي كان يشتد بي آنا حتى البكاء والجنون وآنا حتى الصمت والذهول".
وفي هذا الفصل قدم جبرا إبراهيم جبرا خلاصة عن مختلف الأحداث التي طرأت على حياته بعد بلوغه الثالثة عشرة وعلى العائلة، في بضع صفحات. لخص فيها مجموعة من الأحداث المفرحة والمأساوية في الوقت نفسه، فقد تحدث عن تجربته مع الرسم والموسيقى، ثم تجربة كلية اللغة العربية. كما لخص مأساة وفاة أخته سوسن في بضعة أسطر، كما أشار إلى أنه امتهن التدريس بعد ذلك، وانتقل في بعثة لإنكلترا.
الحذفl'ellipse: يعد الحذف وسيلة أخرى لتسريع وتيرة السرد كما هو حال الخلاصة. ففي الفصل العاشر تجنب الكاتب الحديث عن وقائع زلزال 1927 وتجاوزه لسترسل في سرد سيرته وتقلباتها مع العائلة، محدثا بذلك حذفا معلنا، فقد أشار الكاتب في الهامش إلى هذه المسألة بالقول: " كان هذا الزلزال تجربة مرعبة، وصفت بعض آثارها في الفصل السادس من روايتي "البحث عن وليد مسعود"، مما يغنيني هنا عن إعادة الكلام فيها".
رغم صعوبة تحديد الحذف الضمني في الأعمال الإبداعية لعدم وجود قراءة تدل عليه بحسب الدارسين، إلا أن ذلك لا يمنعنا من محاولة الوقوف عند مظهر من مظاهره في سيرة "البئر الأولى".
في الفصل العاشر نعين حذفا غير ظاهر لأحداث ميتة لا تؤثر في السرد، كما أن الكاتب يعول على قدرة القارئ على ملء الفجوة من معين تتبعه للسيرة منذ البداية. " ولما جاءتنا العمة بالجبنة النابلسية والخبز، وقسمنا البطيخة إلى حزوز، قالت، وأنا أتمعن في تجاعيد وجهها العطوف، المليء بالغصون: "يلا يا حبايب" كلوا، وبعدين احكوا لي شو جابكم عندنا اليوم..". ثم انتقل مباشرة إلى القول: " لم تكن الشمس قد طلعت عندما أيقظتنا العمة أم يعقوب."، دون إشارة لما دار بينهما (هو وصديقه جورج) وأم يعقوب من حديث.
مسار التعطيل:
مثلما للسرد مسار للتسريع، له أيضا مسار للتعطيل، يجري فيه السرد بوتيرة سريعة، فيما يتباطؤ زمن القصة بشكل كبير. ويظهر ذلك أثناء لجوء السارد إلى تقنيتي السرد المشهدي Récit scénique و الوقفة الوصفية.
السرد المشهدي:
يقوم المشهد أساسا على الحوار المعبر عنه لغويا والموزع على ردود répliques متناوبة كما هو مألوف في النصوص الدرامية. وقد لا يلجأ الكاتب إلى تعديل كلام الشخصية المتحدثة فلا يضفي عليه أية صبغة أدبية أو فنية؛ وإنما يتركه على صورته الشفوية الخاصة به. فتكون إذ ذاك المناسبة سانحة للكاتب لممارسة التعدد اللغوي، وتجريب

أساليب الكلام واللهجات والرطانات الإقليمية والمهنية. وكلها طرائق لغوية جارية الاستعمال في الرواية وفي السرد المشهدي بخاصة"
يتكرر المشهد في "البئر الأولى" كثيرا، وسنقف على بعض الأمثلة فقط للتدليل:
الفصل الثامن: " عندما أفقت، وأردت لبس الحذاء، قالت أمي: "لم لا تتركه حتى يوم العيد، فتلبس فيه شيئا جديدا؟"
قلت: "ولكن يوم العيد مازال بعيدا".
قالت: "أسبوعين، أو أقل"
من الواضح أن هذا المقطع توقيف لعجلة القصة في نقطة محددة لغرض هو تأكيد المكانة التي يكتسيها الحذاء، كما أنه يهدف إلى محاكاة الحدث كما هو بالاعتماد على الذاكرة التي تخزن الأشاء التي تأثر على حياته..
الفصل العاشر: "نظر إلي جورج وقال: "مارأيك؟ أتذهب معي؟"
قلت: "أسأل أمي أولا".
وركضت إلى الدار لأخبر أمي بأنني سأذهب إلى القدس..
ـ وكيف تذهب إلى القدس؟
ـ مشيا على الأقدام
ـ وكيف تعود؟
ـ مشيا على الأقدام.
لا لن تذهب."
يتضمن هذا المقطع حوارا تمهيدا لأحداث قادمة، بالتالي فهو يلعب وظيفة افتتاحية. تمهد لرحلة البطل إلى القدس بمعية صديقه جورج.
الفصل الخامس عشر: "قلت: إذا عرفت جوابها؟
قال: لن تعرف الجواب
قلت: هاتها
قال: هذي الطاسة الطرناسة، اللي جواها لولو وبراها نحاسة، هي أمك.
فقالت وهي تنتزع رغيفا لاهبا آخر وتلقي به على كومة الأرغفة: "آ . اضحكوا علي على كيفكم....رمانة، قال..."
يحمل هذا المقطع حوار بين البطل والأب، يتبادلان الأحجيات. نفي فيه الكاتب إبراز العلاقة الحميمية التي تربطه بالأب، وتربط الأب بالأم. والملاحظ هو إقحام اللغة العامية في الحوار. أيضا، أضفى الحوار تخييلا على القصة من خلال صفة اللغزية التي طبعت الأحجيات؛ ملاحظ أن مدى الحوار في سيرة **"البئر الأولى"** لا يكون شاسعا، بحيث لا يتجاوز أسطرا أو صفحتين على الأكثر، مما يدل على الرغبة الاسترسالية القوية التي طبعت الكاتب في إنجاز عمله.
الوقفة الوصفية:
مما لا شك فيه، وعلى غرار المشهد، تؤدي الوقفة الوصفية دور تعطيل السرد والحد من جريانه الدافق، عبر الاستعانة بالوصف الذي قد يتخذ أشكالا متعددة. وتحفل "البئر الأولى" بمظاهر الوصف.
ففي الفصل الثالث: "كانت دارنا تتألف من غرفة صغيرة مبنية من الحجر الخشن، تتصل بها حاكورة فيها شجرتا رمان وشجرة لوز أو شجرتان....وكانت غرفتنا وخشيتنا كلتاهما مسقوفتين بالأحطاب، وجذوع الأشجار وأغصانها، من الداخل، ظاهرة التفاصيل في السقف المنخفض، وهي تتداخل...كانت دارنا تعلوها من الخلف جدران ودور أخرى تتصاعد طبقات إلى أعلى الجبل الذي بنيت البلدة على سفحه مند القدم. أما من ناحية بوابة المدخل.. الخ." ؛ إن السارد هنا يكسر خطية السرد ليقف عند وصف البيت الذي يقطنه بجزئياته، موظفا نظرته البنورامية للمكان. وقد أخذت هذه الوقفة حيزا ليس بالبسيط، جعلت القارئ يخرج من رتابة التدفق السردي.
وكذلك ضمن مقطع آخر في الفصل الثامن عشر، وقف خلاله الراوي وقفة وصفا لمدرسيه في المدرسة: " كان وصفي العنبتاوي يدرسنا الجغرافيا، ويتحدث في أثناء الدرس عن تجاربه في إنكلترا وفرنسا ومصر وأقطار غيرها. لا ينظر في الكتاب...وهو طويل القامة، شديد الأناقة، يضع منديلا في كمه عند المعصم، شديد اللطف..
وكان معلم التاريخ ضياء الخطيب، وهو خريج جامعة لندن، وصديق وصفي العنبتاوي، ولكنه يختلف عنه كليا: فهو أميل إلى القصر، وإلى إهمال مظهره، من لهجة مدينة الخليل التي جاء في الأصل منها...

وحسن عرفات كان يدرسنا الحساب والجبر ــ ودرسنا في السنوات اللاحقة الطبيعيات. كان خريج الجامعة الأمريكية ببيروت، وهو أيضا من نابلس. كان بدي القصر..
ومن أحب المعلمين إلي كان جمال بدران، معلم الرسم. كمان يتكلم بلهجة مصرية.. لا يكف عن الكلام وهو يرسم...الخ"
كانت هذه محاولة لبيان الكيفية التي يشتغل فيها الزمن في القصة، ليس من كافة جوانبة؛ إنما من جوانب معينة، هي المفارقات الزمنية والإيقاع الزمني، ففي الأول وقفنا عند تقنيتي الاستباق والاسترجاع وحاولنا قياس مداهما، أما في الإيقاع الزمني فقد وقفنا عند مسارات التسريع وهي الخلاصة والحذف، فقلنا إن دورهما هو تجاوز الأحداث الميتة. ثم وقفنا عند مسارات التعطيل، نقصد المشهد والوقفة والوصفية، وقلنا إن غرضهما هو توقيف سيرورة الجريان الخطي للزمن والأحداث، ومنح فرصة لجبرة للحديث عن ذاته. والوقوف عند الوصف لأغراض جمالية تكسر رتابة التتابع الأحداث.
وفي الأخير نجد أن السارد قدم معلومات تاريخية دقيقة عن المذاهب المسيحية وفصائلها ورتبها الكهنوتية، وعن الحرو الصيبية، وعن الانتداب البريطاني في نهاية الحرب العالمية الأولية عام 1918. وأورد أحيانا معلومات موغلة في القدم، من قبيل تنصيب الرومان الملك هيرودس الكبير ملكا على فلسطين"
يقودنا تحديد التقنيات الزمانية ضمن البئر الأولى إلى محاولة رصد تطورها وانعكاسها على عمليات التخطيب، والتي تتميز بخاصية تخصيص واستحضار معطيات التوترية والتشخيصية من أجل الحفاظ على تدفق المعنى وديناميةالخطاب، لكن هذا الأمر لا يمكن أن يتم إلا بواسطة التركيب الجهي بوصفه صدى للبنيات الكيفية، وبالتالي فالتوجهة الزمنية المنبثقة عن تنوعات الأحداث في مرحلة الطفولة هي **الديمومة والاستمرارية** بصيغة **التكرار**، نظرا لهيمنة النموذج الأصل لواجب الكينونة الذي يفرض توقيفا ضابطا يسهم في تشكيل الطفولة في جميع اللحظات المؤثثة للخطاب داخل البئر.

3- الزمكان في البئر الأولى

سنتحدث في هذا السياق عن الأحداث التاريخية الكبرى، بوصفها منعطفا حاسما في حياة جبرا إبراهيم جبرا، والتي يستقي منها تسلسله للأحداث الذي سبق وتعرضنا لها فيما تقدم، نظرا لكون البئر الأولى(الطفولة)، هي الحياة التي خلفت جرحا في حياته.
ويمكن أن ننطلق في دراسة عنصر الزمكان، عن طريق تقسيم هذا العنصر إلى قسمين كبيرين كل واحد منهما يحتوي على عناصر جزئية، لأن دراسة المحكي تقتضي منا هذا التقسيم. (الزمان/ المكان).

1) الزمان:

نبتدئ بالزمان لكونه مستمر وغير محدد، كما أشرنا انطلاقا من المعطيات السابقة، حيث عرفه سعيد بقوله:" إن مقولة الزمان متعددة المجالات، ويعطيها كل مجال دلالة خاصة ويتناولها بأدواته التي يصوغها في حلقة الفكري والنظري"، وكذلك تأخذ دراسة الترتيب الزمني للحكي معناها من مواجهة ترتيب تنظيم الأحداث في الخطاب السردي بترتيب تتابع الأحداث نفسها في القصة، أما من منطلق أخر؛ فإن الزمان هو دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما، بمقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة".
حيث سنقتصر في كل فصل من فصول السيرة الذاتية على الأزمنة(صريحة وضمنية)، أي الزمن الذي يخضع لمقاييس موضوعية ومعايير خارجية تقاس (السنة، الشهر، اليوم، الصباح، الظهيرة، المساء، الليل، النهار...)، فالزمن في المحكي ليس هو في الواقع، وهذا ما تبلور في السيرة الذاتية لجبرا إبراهيم جبران، بل الزمن متعلق بالخيال أكثر من الحقيقة، وهذا سيتضح لنا من خلال تقديم مجموعة من الأمثلة.

أ- الإشارات الزمنية الصريحة:

تتمثل في الفصل الأول و الثاني والثالث والرابع من قبيل: وكانت رائحة البخور تعبق في هذا الطابق الأعلى طول أيام الأسبوع/ وفي صبح أحد الأيام، بعد أن ذهب أخي إلى المدرسة/ بقيت مع أمي وجدتي أراقب طبخة وعدتني أمي بها/ أرجعه إلى البيت. وليأت إلينا بعد سنة/ .قضينا ساعة ورؤوسنا على البنك/ في صبح اليوم الثالث، عندما دق الجرس/ طبخت لك اليوم أحسن العدس/ لكن ما كادت تمر أربعة أيام أو خمسة، حتى جوبهت في الظهير بأمي/ مرة أصيبت أمي بوعكة شديدة دامت يومين أو ثلاثة / حتى غروب الشمس مقابل خمسة قروش/ بعد ساعتين أو ثلاثة كان كل شيء قد اكتمل".

ب- **الإشارات الضمنية:**
لعل الإشارات الضمنية تكون بخلق الانطباع بالمدة الزمنية أي الاستمرار العادي لفعل معين مثل: كانت الأكلة اللذيذة، الموعودة، قد حضرت/ أبي لم يبقى له شيء يأكله في المساء عند عودته./ بعد الغذاء عدت إلى المدرسة/ عند الغذاء سألتني أمي / سألني أخي يوسف على العشاء/ قرر أبي ذلك المساء أن يرسلني إلى مدرسة السريان الكاثوليك التي يعرف معلمها/ كلنا سنخرج بعد لحظات/ عندي الليلة قصة جديدة أحكيها لكم/ وهكذا في دقيقتين أخفيا معالم السرقة.
عن طريق الجمع بين هذه الإشارات الصريحة والضمنية، نحصل على زمن المادة الحكائية، أي أن زمن استعادة، زمن استحضار أشياء وعوالم طواها الزمان في ثناياه، يأتي الحكي لينشرها ويلغي بذلك الزمن التعاقبي لنعيش نحن مع أولئك الناس وفي تلك العوالم".
وهذا ما سعي إليه جبرا إبراهيم جبرا في إدراجه لهذه الأزمنة. التي بدورها تحمل دلالات على المدة التي استغرقها للحكي.
ففي الفصول الأربعة ركز على حياته وما فعله في تلك الأزمنة وهو ابن خمس سنوات. كما لو أنه يريد من أي شخص قام بقراءة سيرته الذاتية أن يستحضر ذكرياته وهو في هذا السن.
وفيما يخص الفصل السادس، وهو كالتالي يتأرجح بين الإشارات الصريحة والضمنية، الأولى تتجسد في الأمثلة: وبعد يوم أو ثلاثة تعود إلينا ومعها طفل صغير في قماط/ففي ساعات الظهيرة، عندما تغمر الشمس سلاسل الحواكير.
وبخصوص الإشارات الضمنية في الأمثلة: الأيام قد تمر ولا تسمع فيها أغنية جديدة/ فمنذ أواخر العهد العثماني كان رجال الطائفة قد اشتروا خرابة قديمة/ لا يستغرقنا الذهاب إليه إلا بضع دقائق/ يدعى المعلم للعشاء ذلك اليوم / دخل بسرعة الفسحة الضيقة بين الجدار الآخر والمقاعد.
لقد تحدث في هذا الفصل عن علاقته بالأستاذ التي تحسنت رويدا رويدا وهو ابن ستة سنوات، حيث ساهم الزمان في توثيق صلته بالحياة، وبالأستاذ الذي عزه عليه، أو كما يقول "فالبشرية إذ تحكي، لا تفعل ذلك لمعرفة الماضي وتذكره واستحضاره باستعادته فحركة اللغة التي تحرك الوجدان الإنساني فحسب، وإنما تحكي لتخلق صورا لعالم الغد ولتؤلف من أنقض الإنسان/ الزمان البائد وبناء أو هيكلا ينتظم الإنسان/ الزمان القادم".
أما الفصل السابع والثامن والتاسع والعاشر نجد أنه عاد ليتحدث عن جزء من حياته ما بين 7 و8 سنوات، وكيف ترتبط بالزمن، مما دفعنا إلى التطرق للإشارات الصريحة والضمنية وهي كثيرة، من بين الإشارات الصريحة: وأسبوع الألم تسبقه ستة أسابيع من الصيام والصلاة/ وقع لنا في الفخ عصفور في يومين أو ثلاثة/ وشهدت العشرينات والثلاثينات تعريب معظم خدمات القدس في فلسطين كلها/ وإذا اضطر الأجانب إلى الإقامة ليلتين أو ثلاثا فيها/بدءا بساعات الفجر/ أما يومي الجمعة والأحد فالملعب مفتوح من الصباح حتى المساء/ مع مرور الأيام والأسابيع / إن عيد الميلاد يسبقه صيام خمسة وعشرين يوما/ قامت الاحتفالات الصاخبة في ساحة باب الدير/ وأسرعنا إلي المهد/ ورضي الجميع عما أكلوا ذلك الصباح/ بعد صيام دام خمسة وعشرين يوما/كنت في السابعة أو الثامنة من عمري عندما انتبهت له/ بعد ثلاثة أيام أو أربعة جاء ليأخذني لرؤية الحاوي طويل اللحية/ كان الحر شديدا ذلك اليوم/ أين كنت طيلة غيابك منذ الظهر/بعد أكثر من ساعتين من الترنيم والقراءات والأدعية، بدأ مراسيم القداس/ كنا نعلم المسافة هي ثمانية كيلومترات. والإشارات الضمنية: حضور الصلاة منتصف الليل في الكنيسة المهد/ما كدت أغفو قليلا على صدرها، حتى استيقظت مرة أخرى/ إذ جعت التهمت عدة خيارات خضراء وصفراء دون تقشيرها.
إن الإشارات الصريحة تطغى على الإشارات الضمنية في هذه الفصول لأن جبرا إبراهيم جبرا يحكي أحداث واقعية عاشها في حياته.
واللافت للنظر؛ أن الفصل الحادي عشرة فيبدو للوهلة الأولى أنه جاء منفصلا عن الفصول السابقة ولا مكان له عند كاتب يحكي سيرة حياته، ولكن جبرا جاء به ليشير إلى أثر هذه الحكايات على حياته، وللتأكيد على مسألة مهمة هي معرفته المبكرة بهذا العالم الساحر الذي أخذ ولعه به يزداد يوما بعد يوم وأنه نشأ في وسط اجتماعي يتخذ من قص الحكاية هدفا تربويا. ففي المدرسة يقص المعلم قصصا دينية من قبيل التربية الدينية عن قصة آدم علية السلام، وقصة الطوفان وسفينة نوح عليه السلام.... كانت هذه الحكايات لجبرا بمثابة الكنز أو الإرث الذي سيخلفه من والده الذي لا يملك من الدنيا إلا أغانيه وحكاياته وحبه الفائق على شيء حوله.
وقد استعمل جبر إبراهيم جبرا زمن الماضي والحاضر، وهذا واضح من خلال الأمثلة التي تم إدراجها، لأنه يحكي أشياء واقعية ويطلعنا على حياته كيف كانت في الماضي، ثم أدرج المضارع ليجعل الأحداث حية نابضة مليئة

بالحركة وكأنها تقع في لحظاتها أو من الممكن أن تتكرر حكايته مع المتلقي أيضا. لهذا يطغى الزمن النفسي وله حضور قوي، لأن أغلب الجمل الحوارية داخلية.
كما أنه في الفصل الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين، لقد تحدث في هذه الفصول عن مرحلة أساسية وهو ابن تسعة، الحادية عشرة والثالثة عشرة سنة، ويظهر الزمن الصريح في هذه الفصول في الأمثلة: عليك أن تنتظر حتى أول السنة المدرسة القادمة/ جعل الأولاد يوما بعد يوم يقصون شعورهم/ بقيت الدجاجة القرقة في قعودها الأمين طيلة واحد وعشرون يوما/ أسرعت بإغلاق الباب عليها/ الوقت قد حان للعجين/ يقع جبل خريطون على مسافة بضعة كيلومترات شرقي بيت لحم/ وبعد حوالي نصف الساعة كنا في حينا الجديد/ لم أر المدرسة طوال عطلة الصيف، وهكذا دخلت سنتي الثالثة عشرة، ووقفت على عتبة الكشوف التي سوف تتحقق سراعا في السنوات القليلة التالية/ذلك الصراخ الذي عايشته سنوات يوما بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة.
هكذا نحصل على زمن المتن الحكائي، يعني بواسطة خلق الانطباع بهذه المدة فحسب طول الخطابات أو الاستمرار العادي لفعل معين، أو حسب إشارات أخرى ثانوية، يمكن أن نقيس بصورة تقريبية مدة الأحداث المعروضة. ويجب أن نلاحظ أن الكاتب يستعمل هذا الشكل الثالث ببالغ الحرية، وذلك عن طريق إدراج خطابات مطولة في مدد زمنية جد قصيرة أو خلافا لذلك، عن طريق تمديد كلمات موجزة وأفعال سريعة إلى فترات طويلة.

2) المكان:

للمكان سحرا على المرء أكثر قوة من سحر الزمن، ذلك أن الزمان علامي، أما المكان فهو حاضر ومحسوس، المكان جغرافيا ومعمار وفضاء"، كما له حضور فاعل في حياة كل منا فهو الذي يثير فينا من دون سواء إحساسا ما بالمواطنة وإحساسا آخر بالزمان وبالمحيطية، حتى لتحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه... فكان وكان واقعا رمزيا، تاريخيا قديما وآخر معاصرا، شرايا وقطاعات، مدنا وقرى حقيقية وأخرى مبنية من الخيال، كيانا تتلمسه وتراه، وكونا مهجورا غرفته سدمات لا نهاية لها."
إن علاقة الإنسان بالمكان علاقة جدلية تتشكل من عملية التأثر والتأثير إذ أن الإنسان لا يحتاج فقط إلى مساحة فيزيائية، جغرافية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها الأنا الصورية، فاختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءا في بناء الشخصية البشرية.
كما يعرف السيميائي لوتمان المكان بقوله: هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة...) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/ العادية (مثل الاتصال، المسافة...)".
فالمكان يتعلق بمجموعة من الظواهر والأشكال والوقائع التي تتداخل في الأمكنة.
نجد للمكان في وعي جبرا إبراهيم جبرا منزلة خاصة ترجع في جذورها إلى تجربة المكان إبان الطفولة تلك التجربة التي وعاها جبرا مبكرا وقال عنها كانت أشبه بشاعرية بصرية يستسلم لها المرء عفويا، دونما تفحص أو نقد، فقد كان المكان يومئذ يعني من الناحية، حيز المعيشة الآنية، حيز الأكل والشرب والنوم، حيز علاقة حبل السرة بين الأب والأم في غرفة صغيرة.
وهذا بضبط ما تجسده سيرة جبرا الذاتية إذ يشكل المكان إحدى الدعائم الأساسية التي تقوم عليها العملية السردية فهو يشكل لوحة شاملة لوعي جبرا للعالم بوصفه وعيا مكانيا، قائما على مرحلة الطفولة والصبا مثلا جبرا في فلسطين (بيت لحم والقدس)، ومرحلة الشباب عندما تحدث عن سفره إلى الخارج للدراسة والاحتكاك بالثقافات الأخرى. لم يكن تأكد السارد-من استحضار الأمكنة- محاكاة الواقع، وإنما تأكيد ما يلي: إبراز حركية الفعل الدرامي للشخصيات وظروفها وتقلباتها، وتلاحم الزمنين الذاتي والجماعي، وبيان مشاركة حي شعبي في صنع الحدث التاريخي".
ولأهمية المكان في حياته نجده يفتح سيرته الذاتية بمحاولة تقديم صورة عن البيت الأول الذي فتح فيه عينه: يقول انتبهت إلى أن أهلي يسمون المكان الذي نسكنه بالخان ثم انتبهت إلى أن من يأتي عندنا يصفنا بساكني الخان..."
من هذا المنطلق يمكن أن نصنف المكان في هذه السيرة الذاتية إلى مكان(عام وأعم) و(خاص وأخص). يتمثل المكان العام في مجموعة من الأماكن التي قضى فيها حياته منها:
فلسطين باعتباره المكان الأصلي ثم إنكلترا باعتبارها منطقة عبور مرحلة من حياته لكونها متعلقة بالدراسة، وبغداد باعتبارها مجال للبحث عن عمل لمساعدة العائلة، وهو المكان البديل أيضا الذي أحبه جبرا، أما الأخص مثل الأماكن

التالية: المدرسة التي تعلم فيها اللغة وتعرف على بعض الأصدقاء، الكنيسة كانت ملجأ لتأدية الصلاة والغفران والحكمة، بيت لحم هو البيت الذي عاش فيه طفولته بكل معاناتها، سفينة باعتبارها رمز للحياة(قصة نوح عليه السلام)،القدس باعتباره موطن. وقد استحضر السارد أسماء الأمكنة لما تستضمره من رمزية واستهامية"
وفيما يخص الأماكن الخاصة تتجسد أولا في المكان الخاص مثل: الفندق، البنسيون، الشوارع، الأحياء، البحر المقاهي، المطاعم. ثم أخص: الغرفة، المطبخ، مستشفى، سوق البلدية، الجبل، كهف ثم الكوخ. من هنا يتضح أن الأحداث التي جردها جبرا إبراهيم جبرا في سيرته الذاتية جرت في أماكن متعددة ومختلفة وكل مكان من هذه الأماكن حدث في نفسه أثر بشكل مباشر على حياته. يعني أن الأمكنة هي التي تتيح إمكانية لقاءات غير متوقعة لجبرا مع شخصيات أخرى.

خاتمة:

انطلاقا من نتائج التحليل التي توصلنا لها في السيرة الذاتية **"البئر الأولى"** لجبرا إبراهيم جبرا، يمكنا أن نخلص لنتائج التالية:

-شكل الاسترجاع والتذكر والمراهنة على المطابقة جوهرا لمتن **البئر الأولى**، ونظرا لصعوبة هذا المسعى الأدبي، بحكم عوامل النسيان واضطراب الذاكرة والاختلالات التي تعتري إعادة صياغة زمان الماضي الشخصي، باعتباره مفارقة بنيت عليها السيرة الذاتية لجبرا إبراهيم جبرا.

- كانت هذه محاولة لبيان الكيفية التي يشتغل فيها الزمن والزمكان في السيرة الذاتية، ليس من كافة جوانبة؛ إنما من جوانب معينة، هي المفارقات الزمنية والإيقاع الزمني، ففي الأول وقفنا عند تقنيتي الاستباق والاسترجاع وحاولنا قياس مداهما.

- توقفنا عند الإيقاع الزمني عن طريق مسارات التسريع وهي الخلاصة والحذف، فقلنا إن دورهما هو تجاوز الأحداث الميتة. ثم وقفنا عند مسارات التعطيل، نقصد المشهد والوقفة والوصفية، وقلنا إن غرضهما هو توقيف سيرورة الجريان الخطي للزمن والأحداث، ومنح فرصة للذات لتتحدث بنفسها. أيضا، الوقوف عند الوصف لأغراض جمالية تكسر رتابة التتابع الأحداث .

-حاولنا، كذلك، الإجابة عن الإشكال العام لهذا البحث، من خلال رصد مركزية الزمكان في تشكيل الخطاب داخل البئر الأولى، الأمر الذي دفعنا إلى عقد مقارنة ضمنية وصريحة مع الذات التي تحكي، وذلك بغية الوقوف عند طبيعة الأماكن والأزمنة، التي زارها جبرا في البئر الأولى.

لائحة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية:

❖ **المصادر:**

- جبرا إبراهيم جبرا (2009)،البئر الأولى: فصول من سيرة ذاتية. ط1. دار الآداب بيروت.

❖ **المراجع**

- بوعزة محمد (2010)، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم. ط1. دار الأمان، الرباط، المغرب.
- البحراوي حسن. (1990). بنية الشكل الروائي. المركز الثقافي العربي. ط1. الدار البيضاء.
- حجو محمد(2012). الإنسان وانسجام الكون -ط1. دار الأمان زنقة المامونية-الرباط.
- الحميداني حميد (1991). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.
- الخطيب ابراهيم (1982). نظرية المنهج الشكلي : نصوص من الشكلانيين الروس. ترجمة. ط1.
- الخلفاوي مريم (2020). بلاغة الإيثوس السجين قراءة في سيرة مليكة أوفقير الذاتية: السجينة، تقديم عبد الجليل الأزادي. منشورات ماستر النقد العربي القديم انساقه ومناهجه.
-الداهي محمد (2021). السارد وتوأم الروح من التمثيل إلى الاصطناع. المركز الثقافي للكتاب. ط1.–الدار البيضاء-المغرب.

المصادر ومراجع باللغة الأجنبية:

_Gerard Genette, discours du recit in figures,III ,op..CIT.
- lejeune،(1998)، le pacté autobiographique, seuil, paris.